[26] هؤلاء مالا يعرفه لهم الناس أو ما ينكرونه، ولعل الكثير من الناس يومئذ رآهم وعرفهم. أما نحن إذا غم علينا امرهم من التأريخ الذي ينوه بأقدارهم، فان الشريف نفسه يجلو لنا الحقيقة الناصعة بقوله من مرثية خاله وقد توفي سنة 391 ه: من القوم حلوا في المكارم والعلا * بملتف اعياص الفروع الاطايب فما شئت من داع إلى ا مسمع * ومن ناصر للحق ماضي الضرائب هم استخدموا الاملاك عزا وأرهفوا * بصائرهم بعد الردى والمعاطب وهم انزلوهم بعد ما امتد غيهم * جماحا على حكم من الدين واجب واما اسرة ابيه، فلقد كانت تقترب كثيرا من اسرة الخلافة في الابهة والسلطان، ويكفي من ذكرها - لمعرفة مقدار تأثره بها في التربية والاخلاق - ان نذكر اباه (ابا احمد)، الذي ارتبى في كنفه وفي ظل منعته، وإذا نحن فتشنا عن حاله اصدق المصادر نجدها تثبت له نسكا مشهورا وهيبة ووقارا، وارادة قوية وعصبية شديدة، وأصالة رأي وجد في الاعمال، يستطيع بها ان يتلاعب بالدولة، ويتجرأ على مقدراتها. ولهذه الصفات وهذه الملكات سفر ايام (معز الدولة) بينه وبين الاتراك، الذين يحاولون ان يستردوا صولجان الحكم الذي كان بأيديهم في العاصمة. وتوسط الصلح بينه وبين ابي تغلب بن حمدان، لما شغب في اطراف الجزيرة. وفي ايام (بهاء الدولة) سفر بينه وبين صمصام الدولة، وهو بفارس. وفي هذه السفارة يقول ولده في احدى روائعه: راموا به الغرض الاقصى فشافهه * مر القطامي جلى بعد ما لمحا